تأخر تعلم لغة القرآن وأثره على سكان بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط
ـالغضب، السحر، البدع أنموذجًا

The delay in learning the language of the Qur'an and its impact on the population of the Middle Maghreb during the Middle Ages
Anger, magic, heresies as a model

بن ميرة بن سعيد[1]*

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)، benmirasaid02@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/05/11 تاريخ القبول: 2023/06/19 تاريخ النشر: 2024/07/05

ملخص:

إن الإنسان بوصفه محور الفعل التاريخي والأدبي، تمكن من صنع التاريخ بإنجازاته كما صنعه بزلاته، والتي أهمها، ما وقع من محظورات كالبدع والسحر والغصب، ويطرح هذا الإشكال صعوبة بالغة عندما يدرس في إطار الحضارة الإسلامية، وبما أن الحضارة نابعة من الدين والمعروف أن المنظومة الفقهية حاولت دائمًات أن تبني مجتمعًا تكون فيه هي اليد الموجهة والمؤطرة له، غير أن غياب الجدية في تعلم اللغة العربية باعتبارها هي لغة القرآن، جعل من سكان بلاد المغرب خلال العصر الوسيط يجهلون أغلب معالم الدين الإسلامي، مما دفعهم إلى انتهاج المحظور كواقعًا معاشًا، وهذا ما سنحاول التطرق إليه في مقالنا هذا مع أخذ انتشار البدع، والسحر، والغضب كنموذجًا لأهم أثار غياب اللغة وفهم الدين.

كلمات مفتاحية: اللغة العربية، الدين الإسلامي، الغضب، السحر، البدع.

Abstract:

The human being, as the center of the historical and literary act, was able to make history with his achievements as well as his missteps, the most

important of which is the prohibitions that occurred such as heresy, witchcraft and usurpation. She has always tried to build a society in which she is the guiding and framing hand. However, the absence of seriousness in learning the Arabic language, as it is the language of the Qur'an, made the inhabitants of the Maghreb during the Middle Ages ignorant of most of the features of the Islamic religion, which led them to adopt the forbidden as a living reality, and this is what We will try to address it in this article, taking the spread of heresies, witchcraft, and anger as a model for the most important effects of the absence of language and understanding of religion

Keywords: The Arabic language, the Islamic religion, anger, magic, heresies.

1. مقدمة:

مما لا ريب فيه أن تأخر سكان بلاد المغرب في تعلم اللغة العربية أدى إلى قصور في فهم الدين وكان لذلك إفرازات اجتماعية وأثار معنوية ونفسية على ذهنية الإنسان، وهو ما عرفه سكان بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ولأن لكل فعل رد فعل، فإن لهذه التراكمات ردود فعل متباينة عبر عنها الفرد المغربي بممارسات ذهنية وسلوكية سعيًا منه لتجاوزها أو الحد منها على الأقل، فتارة كانت مواجهته لهذه الحقيقة في صور سلوكات عدوانية كالغضب والحرابة، وقطع الطريق وممارسات للسحر والشعوذة، وتارة أخرى تظهر في شكل ردات فعل ذهنية استسلامية للبدع والخرافات من واقع فرض نفسه.

وبالرجوع إلى ما جادت به المصادر بشكل جلي تلك العلاقة الطردية بين شيوع عدم تعلم لغة الدين مع انتشار الآفات الاجتماعية كالتسول والغضب وتفشي الفواحش وشيوع المحرمات كشرب الخمر والميسر، بين شريحة أفراد مجتمع المغرب الأوسط، وإنشار البدع.

لقد كان للتقسيم الطبقي وتهميش الطبقة العامة دور كبير في تغييب الوازع التعليمي للغة مما أدى إلى الجهل بتعاليم الدين وظهور المحظور مما أفقد المجتمع وعيه فزادت أعمال السلب والنهب والحقد الطبقي (الغريب، 2005، صفحة 47)، إن ضغط المحظورات كانت تدفعه إلى سلوكات لا ترضاها الفضيلة والخلق الكريم، وهنا

تتأتي عديد التساؤلات منها: إلى أي مدى أثر عدم تعلم لغة القرآن في إنتشار الغضب والسحر والبدع؟

2. انشار ظاهرة الغضب

عرفت ظاهرة الغضب انتشارا كبيرًا في مجتمع المغرب الأوسط، وهي ظاهرة برزت نتيجة التمايز الطبقي وغياب الفهم الحقيقي للدين نتيجة جهل لغته لذا عمدوا إلى اتخاذ اللصوصية سبيلاً لهم (بوتشيش، 1993، صفحة 190)، وبالرجوع إلى الباحثة خليلي بختة والتي ربطت الفقر بكونه محوريًا في انتشار ظاهرة الغصب وأدت بإنسان المغرب الإسلامي في الغالب إلى التخلي عن قيمه الأخلاقية والإنسانية لأجل اغتنام المكتسبات المادية من أموال وأغذية وغيرها، كما يجدر بنا التنويه من خلال مختلف النصوص، إلى إصدار ملاحظة وهي أنه ليس كل فقير لص، وليس كل لص فقير، فمثل هذه الظواهر تعزى عادة للفقر ويتهم بها الفقراء بسبب الحاجة والخصاصة، إلا أن هذا الرأي ليس نظرية دائمًا، إذ أن هناك دلائل أيضًا تشير إلى أن سرقات أتهم بها أبناء أسر ميسورة الحال، كما اتخذ الكثير من الأشخاص الفاسدين من هذه الصور مهنا لهم بالرغم من أنهم ليسوا فقراء (خليلي، 2016، صفحة 235) فقد كان العرب الهلاليون المقيمون ببلاد المغرب الأوسط يعملون على قطع الطرق والاعتداء على القوافل وسلب محتوياتها وسفك دماء أصحابها وسبي النساء (أبومصطفى، 1992)، فتفشي ظاهرة الغضب نلمسه من خلال كثرة النوازل الواردة والتي أفصحت بدورها على الظاهرة ومدى استفحالها خصوصًا من قبل العرب الهلالية الذين امتدت موجة اجتياحهم لمنطقة المغرب الأوسط عليه إلى أريافه وامتهانهم اللصوصية والغضب والنهب فقد سئل الفقيه محمد بن بلقاسم المشدالي عن نازلة مفادها أن جماعة من السكان استولوا على قرية وفرضوا عليها الجباية على الجنات والزروع، والأكثر من ذلك سلبهم لحرية تصرف المالك في ملكه بالبيع، أو بالكراء حتى بلغ به الحاجة إلى الإشراف على الهلاك (شقمطي، 2013، صفحة 54)، والجدير بالذكر أن عملية الغضب لم تقتصر فقط على القبائل الهلالية، وإنما كانت تمارس من قبل أعيان القبائل كذلك، وفي هذا السياق سئل الفقيه محمد بن مرزوق "... عن رجل من أعيان القبائل يعطيه السلطان أرضًا ينتفع بجبايتها، فاعتمد (كذا) لمن تحت شياخته في زمن الحرث، فيأخذ منهم زرعًا اغتصابًا، ويأمرهم أن يحرثوه في أرض اغتصبها لآخر معهم..." (شقمطي، صفحة 58)، فأعيان القبائل لم يكتفوا بأخذ ما يفرضونه من ضريبة على

مستغلي أرض الاقطاع وإنما كانوا يقومون بغصب زرع وثمرة جهد الفلاحين المقهورين دون أي مقابل، هذا وقد تعد0ت ظاهرة غصب الهلاللين وأعيان القبائل لتشمل القبائل ككل، فقد ذكرت إحدى النوازل أن هناك قبائل تعيش على الحرابة من خلال نهبها للمسافرين وإخافتهم وقطع الطريق عليهم في الأماكن الخالية، بل تعدى ذلك إلى غصب النساء، فتحدث نازلة عن غضب رجل لزوجة رجل وأخذها إلى مكان خارج عن سلطة السلطان، فكلف الزوج من يبحث عنها وفرض له فريضة مقابل خلاصها من مغتصبها(شقمطي، صفحة 59) .

ومع الانتشار الواسع لأثار حضور الغصب، سنت عقوبات رادعة لمحاربتها والتي يمكن أن نقسمها إلى ثلاثة أنواع:

1.2 العقوبات الشرعية:

سبب القول أن هذه العقوبات شرعية كونها استصدرت من طرف الفقهاء الذين يمكن اعتبارهم ممثلي الشرع والناطقين باسمه، وأشرفت السلطة من طرف الفقهاء الذين يمكن اعتبارهم ممثلي الشرع والناطقين باسمه، وأشرفت السلطة على تطبيقها، منها قطع اليد وهي عقوبة السارق استنادًا لقوله تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ -سورة المائدة، الآية: 38-، وهناك التأديب بالضرب على أن يكون الضرب مبرحًا على قدر الجرم المرتكب (الونشريسي، دت، صفحة 405)، تضاف إليها عقوبة السجن لمن قبض عليه (الونشريسي، صفحة 286) وهناك عقوبة القتل (المراكشي، 1983، صفحة 258).

2.2 العقوبات العرفية

تعددت هذه العقوبات وتنوعت، وفي هذا الصدد يشير البكري إلى عقوبات عرفية كانت في الصحراء، إذ كانوا يعمدون إلى عود فيشق باثنين ويشد على صدغي اللص في مقدمة رأسه ومؤخره، فلا يتمالك أن يقر ولا يصبر على ذلك الضغط لحظة لشدته (البكري، دت، صفحة 170).

3.2 العقوبات التربوية:

وهذا النوع من العقوبات أخذ الكثير من طابع الحكمة والموعظة في قالب تربوي ووقائي، وهنا نهتدي إلى ما ورد عن أبي عبد الله بن مرزوق حين روى أن بعض الشباب من أهل العباد أقدموا على دخول جنانه وقطعوا الرمان، لكنهم لم يستطيعوا حمله ولا ترك الجنان، ولما قدم الشيخ في الصباح قال لهم "كفيتمونا مؤونة القطع، ثم قال لهم خذوا أجرتكم، فأعطاهم منه ودعا لهم فانصرفوا تائبين" (مرزوق، 2008، صفحة 163) وأضاف إن شخص آخر اعتاد على السرقة فقيل له هلا سرقت جنان فلان فعزم على ذلك، وأراد سرقة الإجاص فلصقت الشجرة بيده ولم يستطع إزالتها عن الشجرة، وفي الصباح قدم الشيخ فقال له السارق إني تائب فقال له الشيخ، انطلق، فقدم على الشيخ وقبل يده وقال: أدع لي، فدعا له بصدق التوبة، فكان من الصالحين (مرزوق، صفحة 164) ، ومن خلال تفحص هذه الحادثة يظهر لنا بشكل جلي الدور الكبير الذي لعبه الأولياء والصلحاء في دفع اللصوص إلى التوبة، ودفع الفساد على أفراد المجتمع في المغرب الأوسط. إن انتشار اللصوصية يكشف تجليات انعدام التوازن الاجتماعي المتمثلة في تعذر الأسفار وانقطاع سبل التجارة وإخافة الناس، لا سيما وإن قطاع الطرق تمركزوا في أبواب المدن والأسواق، ومحاور القوافل التجارية فكان من تداعياتها السلبية أن كثرت المحن بالعدوتين ككل، وانقطع السفر والأسباب وكثر النهب وانقطعت الطرق (يوسف، الرباط، دط، صفحة 31)، فدائرة التلصيص والحرابة قد استفحلت باتساع دائرة الضيق والشدة الناجمتين عن انتشار الجهل والأمية، وهذا العدوان على أموال الناس وأمتعتهم الخيار الأسهل لمقاومة تداعيات الأزمة الصعبة، وإلا ما الداعي الذي حدا بالخليفة عبد المؤمن الموحدي إلى أن يصدر مرسومًا ثانيًا بشأن قطع دابر اللصوص وقطاع الطرق، لاستتباب الأمن في ظرف مدة زمنية لا تتجاوز ثمانية سنوات وهي المدة الفاصلة بين المرسوم الأول والثاني (بياض، 2007، صفحة 12).

وصفوة القول أن ظاهرة الغصب كانت مرادفة لكل جاهل وأمي ومن بين أثار ذلك هو السحر فما مدى انتشار ظاهرة السحر بالمغرب الأوسط خلال فترة الدراسة؟

3.انتشار ظاهرة السحر

تفشت ظاهرة السحر في مجتمع المغرب الأوسط بشكل ملحوظ، وأضحى كحقيقة مسلمة لا تقبل الشك، وليس ذلك فحسب وإنما غدت عند كثير من الشرائح أمور

مقدسة لا يجوز التهاون بها، فضلا عن التشكيك في صحتها (الزهراني، 1414هـ، صفحة 249)، ورغم أن الإسلام شدد على عدم التعاطي بالسحر وحرمه قال تعالى ﴿ **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** ﴾ -سورة طه، الآية: 69-، وورد في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق، يقال: له: لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل أنه يفعل الشيء وما يفعله" (الجعفي، دت، صفحة 1128)، وقد اعتبر البرزلي "أن السحر من الأمور التي تقوم بالتأثير في النفوس والتي تقع بسببها المفاسد (البلوي، 2020، صفحة 288)، أنا الونشريسي فقد سئل عن من يكتب للمحبة والبغض وعقد العروس، فأجاب: أما الكتابة للبغضة ولربط العروس فهو من السحر المتفق على تحريمه" (الونشريسي، صفحة 55)، إلا أن هناك عديد القرائن والإشارات على انتشار ظاهرة السحر منها ما أورده المازوني مؤكدًا بأن سكان المغرب الأوسط كانوا يعتقدون بالسحر بقوله "بأن الثور لا يحرث، فيكتب له حرز" (المغيلي، 2009، صفحة 73) نتيجة عدم فهمهم للدين لغياب اللغة.

لقد كانت هناك محاولات للغنسان للنفاذ إلى مكنونات الغوامض التي واجهه بها هذا العالم، لإكتفاء شر ما أيقن أنه تربص به وراء تلك الحجب من قوى فوق الطبيعة، بل ومحاولة الإنتقال من مرحلة استرضائها ومنع أذاها إلى مرحلة ضمها إلى صفه لتكون له لا عليه (غنيم و شريف، 2001، صفحة 1)، لذلك فقد كانت نظرة السكان للسحرة نظرة ذلك المغلوب على أمرهم الذين ينتظرون منهم الخلاص ويرون فيهم الملاذ الأخير من الظلم على شاكلة الظلم المسلط عليهم الجبائي ومختلف الكوارث الطبيعية من جهة أخرى، على اعتبار أن السحرة هم الأقوياء المناهضون للسلطة الحاكمة وهم أيضًا المنقذون في فترات القحط والجفاف في اعتقادهم، وهذا كله يعتبر قرينة قوية على أثر السحر على شريحة واسعة كانت تؤمن بالمغيبات والسحر والكهانة، وعادة مثل هذه العقلية تكون سريعة مثل ثورة الكاهنة، ودعوة أبي عبد الله الشيعي ودعوة محمد بن تومرت وغيرهم.

إن سهولة تأثير ظاهرة السحر على سكان المغرب الأوسط يرجع إلى تشبع عادات السكان منذ القدم بهذه الظاهرة منها ترسبات بعض المعتقدات القديمة التي تميل أو تتفاعل مع مظاهر السحر والشعوذة، فمن خلال استقراء الماضي يتضح أن ثمة

ديانات وثنية ومعتقدات خرافية طغت على عقلية السكان، بعضها محلي، وبعضها وافد من الشرق تمخض عنها تهييئ الذهنية المغربية لتقبل أنماط الفكر السحري (بوتشيش ا.، دت، صفحة 346)، وإلى جانب المعتقدات الآنفة الذكر، شاعت بالمغرب ظاهرة السحر، والواقع أن هذه الظاهرة لم تكن سوى تعبير مقنع ومضمر، يعبر عن خفايا المجتمع، ويشكل الواقع أن هذه الظاهرة لم تكن سوى تعبير مقنع ومضمر، يعبر عن خفايا المجتمع، ويشكل القطاع المكبوت في الفكر والسلوك، ويحاول طرح بديل ضروري للمحافظة على التوازن النفسي والاستقرار مع الحقل الاجتماعي، وقد نبه الباحث القادري بوتشيش إلى هذه الحقيقة حيث ربط السحر والشعوذة بالعقلية القاصرة والعجز عن المعاش الطبيعي فذكر أن الذي يحمل ذلك في الغالب زيادة على ضعف العقل، إنما هو العجز عن طلب المعاش بالوجوه المنحرفة (بوتشيش ا.، 1997)، ومن أهم القرائن على تجدر هذه الظاهرة أن البعض اتخذ من هذا المجال مصدر للرزق وحرفة للتكسب (بوتشيش ا.، صفحة 348).

ومن مظاهره تأثير ظاهرة السحر في مجتمع المغرب الأوسط هو ربطه بإبعاد العين من خلال التمائم وهي الخرزة التي كانت تعلق في أعناق أو صدور الأولاد ليمنعوا بها العين حسب زعمهم (الطهطاوي، 2000، صفحة 21)، ويضيف الونشويسي في نازلة تبرز تلك التمائم والطلاسم التي كانت تضعها النساء من أجل التحبب لأزواجهن بكتابات سحرية من أجل تمتين علاقة الزوجة بزوجها وكسب محبته المطلقة (الونشريسي، صفحة 171)، والجدير بالذكر أن الفقهاء لم يستهلوا مع هذه الطائفة وقد سئل أحدهم عن من يكتب حروفًا مجهولة المعنى للأمراض فينجح ويشفى بها فأجاب بأنها يجب أن تكون ظاهرة وواضحة (الونشريسي، صفحة 70) ، وكان نجاح بعضهم في كتابة هذه التمائم مدعاة إلى تأثر الناس بهم وإتباع طرقهم وقد أبطل الإسلام ذلك ونهى عنه ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا أودع الله له" وقوله أيضًا "إن الرقى والتمائم والتولة شرك" (الطهطاوي، 2001، صفحة 21) ونستشف من كل هذا انطباعًا أن للساحر في المجتمع المغربي دور كبير زواج بين وظيفة حمائية وشفائية (مؤلفمجهول، 1979، صفحة 40)، إلى جانبي تحيين عقد الحياة لتجاوز العجز الجوهري الذي يشعر به الإنسان (المنصوري، 2004، صفحة 25)، ومن هنا أصبح الناس بتوسلون في الساحر تحقيق الرغبات ودرء المخاوف والتسلح بالقوة المطلقة نتيجة قصور الحيلة

(الحجازي، 2005، صفحة 154)، وكانوا يتوسمون فيهم الأمل بالقدرة على شفاء الأرواح والأجساد، ولكن كان الساحر يوزع عليهم الوهم والأحلام دون أن يشفي (لوبرتون، 1997، صفحة 175)، ومن زاوية أخرى اعتقد الناس أن في الظاهرة السحرية وما يمكن أن تصدر عنها من شر وعواقب وخيمة فإنهم فكروا في الوسائل الكفيلة بالتصدي لهان فابتكروا طريقة تمكن من إبطال تأثيرها، فخيل لهم أن اكل الفجل الممزوج بالعسل يعمل على دفعه وإبطاله (بوتشيش ا.، صفحة 115).

4.انتشار ظاهرة البدع:

حينما بعث الله رسوله الكريم بدين الحق والحكمة، فلم يأت بما فيه من حرج أو بما ينبو العقل السليم عن قبوله، فكان على بينة وخالي من شوائب البدع، وهذا ما عزز من انتشاره.

لقد شرع الله الإسلام دينا قويما وصراطا مستقيمًا وجعل للناس عبادات مختلفة في أدائها صلاح لدينهم ودنياهم وجعل فيها من الحكم مكا يحير العقول، وإذا فعلها المسلمون كما شرعت لهم فإنها تظهر للعيان وتكون حجة للدين، لكن ومع الزمن أدخل البعض على الدين ما ليس منه، ليُغيب الجوهر وتستحدث البدع، وبهذا يتم تشويه العبادات، وهذا ما نبهنا إليه الله تعالى بقوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ -سورة الانعام، الآية: 153-، وإن كانت البدع هي إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وهو ليس منه، وغالبًا ما تكون في الأمور المستغربة وغير المألوفة في الدين (زروق، صفحة 8)، ومما لا ريب فيه أن المغرب الأوسط لم يكن بمنأى عن انتشار البدع.

مما ألزم الفقهاء المالكية عن النهي عن الطرق المؤدية إلى الضلالة وهذا ما نلمسه عن مالك رحمه الله حين قال: "لا تسلم على أهل الأهواء والبدع ولا تجالسهم، إلا أن تغلط عليهم، ولا يعاد مريضهم، ولا تحدث عنهم الأحاديث" (القيرواني، 1983، صفحة 125)، وهذا ما أكده محمد بن وضاح الأندلسي المالكي (ت 287 ه) حول النهي عن البدع "وقد كان مالك يكره كل بدعة وإن كانت في خير"، وعن أشهب قال: سمعت مالك يقول: "إياكم والبدع، قيل يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال "أهل البدع الذين يتكلمون في أسمائه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون (باحو، 2007، صفحة 88)، ورغم محاربة فقهاء المالكية لمحظور البدع الحادثة إلا أنه هناك شرائح كانت على البدع سائرة، حيث قال الفقيه

السنوسي مصورًا أثر البدع في عصره " أما أزمتنا هذه فالسنة فيها بين البدع كالشعرة البيضاء في ظهر الثور الأسود فمن لم يجاهد اليوم نفسه في تعلم العلم وأخذه من العلماء الراسخين مات على أنواع البدع والكفريات وهو لا يشعر، ويوصل قوله ... والكل في هذا الزمان الذي قل خيره واستسعر وكثر سره واستيسر مصدقوه فيما يدعون، إذ المصيبة في زماننا هذا قد تمكنت من القلوب حتى امتنعت من حسن الاستماع فضلا عن الفهم والانتفاع لما تراكمت عليها ظلمات الفتن (المغيلي، صفحة 90)، وفي السياق نفسه سئل الإمام الشاطبي (ت 790 ه) عن بعض الفقراء ممن كانوا يجتمعون ويأخذون في الذكر والغناء ثم الضرب بالأكف والشطح لآخر الليل، فكان جوابه أن هذا الأمر من البدع المحدثات التي لم تكن في زمن الرسول صلى الله ولا زمن صحابته ولا بعدهم، وإنما هذه بدعة (الأندلسي، 1985، صفحة 193) ومما لا شك فيه أن للبدع آثار تظهر على المجتمع الذي أقر بها أو تراخى في نكرانها، وليست هذه الآثار المحظورة تشمل المجتمع كله بل تخص من يقر بالبدعة أو يعمل بها أو يدعو إليها ويرغب الناس فيها فيعم المجتمع إتباع طريق الضلالة وإماتة السنة وإتباع الهوى ومفارقة الجماعة والخصومات في الدين وغيرها فيتحول المحظور إلى معقول وتصبح أثاره بارزة على المجتمع ومنتشرة كتلك التي كانت متعلقة بالجنائز، والأفراح كالصياح والعويل ولطم الوجه والأطراف والتي كانت تقوم بها النسوة إذا مات لهن قريب (البلوي، صفحة 161)، وكن أيضًا يخرجن لإتباع الجنائز حتى يدفن الميت (الطرطوشي، 1990، صفحة 336) ، كما كان العوام يخرجون بعد مرور سبعة أيام من الدفن ويقومون بتصبيح القبور (الأندلسي، صفحة 209)، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أصبحت زيارة القبور للتبرك والتوسل وهذا ما أشار إليه الونشريسي في نازلة إلى بدعيته من خلال معارضته للبناء على القبور وتجصيصها وشد الرحال لزيارتها (الونشريسي، صفحة 152) وأن تقبيل قبر الرجل الصالح أو العالم هو بدعة (الونشريسي، صفحة 490)، ومن البدع التي سادت مجتمع المغرب الأوسط أن بعض الناس يجتمعون بعد صلاة العشاء ويتوجهون إلى السور على ضوء القناديل على غرار الجنود مرددين بصوت واحد "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" ثم يجتاز الموكب المدينة بنفس الطريقة ويطوف بالشوارع مارًا بدكاكين الجزارين وأكوام الفضلات إلى أن يصل إلى السور، حيث حرم أحد الفقهاء مثل هذه البدع واستنكر تلك الأناشيد (هادي، 1992، صفحة 307)، لقد كان تأثير هذه البدع على عقيدة المسامين

كبيرًا في مجتمع المغرب الأوسط حتى أن بعض أهل قرية أنكروا على إمامهم الصلاة بهم لما ينتحل من البدع، فذكر لنا الونشريسي نازلة بخصوص ذلك في قوله "... وفي القرية زاوية يجتمع فيها أصحاب القرية ليلة الجمعة والاثنين والإمام معهم –أمام القرية- يستفتحون بعشر القرآن، فإذا فرغوا منه يستفتح المداح وأصحابه دائرون عليه يضربون الكف ويقولون معه والإمام يمدح مع المداحين ويضرب الكف معهم ويرقص مع الذي معهم ويرقص مع الذي رقص منهم، فإذا كان مولد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي الإمام معي إلى قرية أخرى... ويبقى المسجد بلا خطبة ولا إمام ولا أذان حتى يرجعوا، وتكون غيبتهم أربعة أيام (الونشريسي، صفحة 160) فكان جواب ذلك أنه تلاعب بالدين، وليس من أفعال عباد الله المهتدين، والطاعن في هذا الإمام وإن كان من قرية أخرى قام على وجه الحسبة وتغيير المنكر (الونشريسي، صفحة 161) ومن أهم القرائن على أثر المحظور البدعي على مجتمع المغرب الأوسط هو أنه لم يمس الطبقة العامة والمهمشة فقط بل مس حتى طبقة العلماء الذين لم ينكروا بعض البدع، بل هناك من قام بذلك كاتخاذ قبره من بعده مزارا للناس، فقد ذكر ابن صعد (ت 901ه-1496م) أن قبر الشيخ أحمد الحسين الغماري (ت 874 ه-1470م)، جرب فيه الناس إجابة الدعاء بركة زياراته في الشدة والرخاء، فروضته قلما تخلو من زائر يتلو القرآن ويهدي له الثواب، أو يذكر وينتظر منه بلسان الحال جواب (الأنصاري، 2002، صفحة 234) فكان عدم إنكار الفقيه ابن صعد لذلك، دليلاً على رضا فريق آخر من العلماء على سلوك التبرك (باحو، 2007، الصفحات 99-100)، ويتضح لدى استعراض النوازل الفقيهة الخاصة بمجتمع المغرب الأوسط وحركته الصوفية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، أن تأثير البدع في حقل التصوف وأبناء الصلحاء والمريدون والسذج ونمط من شيوخ التربية اعتمدوا الذكر سبيلاً للوصول (بونابي، 2010، الصفحات 10-11)، والجدير بالذكر أن أعظم أثار البدعة على الدين هو إماتة السنة النبوية الشريفة على اعتبار أن البدع رافعة لما يقابلها من السنن، فيصير المعروف محظور، والمحظور معروفًا، حتى إذا عمت البدع وانتشرت صارت السنة وأهلها غرباء، وهنا لابد من التنويه إلى أنه ومن خلال تتبع المسار المذهبي بالمغرب الأوسط يتجلى بوضوح تمكن المذهب المالكي من نفوس المغاربة فوقفوا بالمرصاد ضد التيارات المنحرفة ودافعوا عن مذهبهم وتعصبوا له (سعيد، دت، صفحة 202)

وهذا ما جعل علماء المالكية في الغالب ينكرون البدع التي انتشرت ومتمسكين بالسنة وسد أبواب الذرائع على البدع (المغراوي، دت، صفحة 25).

وهنا يجدر بنا القول أنه لا مجال للشك بأن الآثار الاجتماعية كانت مستفحلة في مجتمع المغرب الأوسط إلا أنها لم تكن إلا أثارًا مرادفة لآثار أخرى لا تقل أهمية عنها، فما هي هذه الآثار الأخرى؟

5. خاتمة:

لقد كان لتأخر سكان بلاد المغرب في تعلم اللغة العربية قصور كبير فهو الدين الإسلامي وجوهرة خلال العصر الوسيط وهذا القصور كان له أثر بالغ، وما انتشر ظواهر البدع والغضب والسحر إلا قرينة على ذلك.

وصفوة القول يمكن استنتاجها مايلي:

1. تفاقم ظاهرة الغصب وإنتشار البدع والسحر كان من أهم افرازات فهو الدين الإسلامي بسبب غياب اللغة.
2. اتضح من خلال تتبع انتشار المحظورات ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط أن انتشار الغضب والسحر والبدع لم يكن سوى صورة تعبيرية لواقع مر، مشحون بالأزمات التي كان يتكبدها العامة المهمشة، نتيجة إعطائها حظها الوافر من التعلم لا سيما تعلم اللغة لفهم الدين.
3. الأثر السلبي الواضح الذي تركته ظواهر البدع والسحر والغصب في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط انعكس على مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية، ففسد الدين بفساد الأخلاق.

6. قائمة المراجع:

1. إبراهيم القداري بوتشيش. (1993). *مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين*. بيروت: دار الطليعة .

2. ابن عذاري المراكشي. (1983). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان وإ.ليفي بروفنسال*. بيروت: دار الثقافة، ط3، ج1.

3. أبو عبد الله محمد ابن مرزوق. (2008). *المناقب المرزوقين، تح: سلوى الزاهري، ط1*. الدار البيضاء: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة.

4. أبومصطفى ,ك .ا .(1992) .*جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي* .مركز الاسكندرية للكتاب.

5. الأندلسي ,أ .ا .(1985) .*فتاوى الإمام الشاطبي، تح :محمد أبو الأجفان* .تونس : مطبعة الكواكب، ط.2

6. الأنصاري ,ا .ا .(2002) .*روضة النسرين في التعريف بالأشباح الأربعة المتأخرين، تح :بوعزيز يجي* .الجزائر :منشورات ANRPE، ط .1

7. البكري ,أ .ع) .دت .(*المغرب في ذرك إفريقية والمغرب* .القاهرة :دار الكتاب الإسلامي.

8. البلوي ,ا .أ .(2020) .*جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح :الهية محمد الحبيب* .بيروت :دار الغرب الاسلامي، ط1، ج.6

9. الجعفي ,ا .أ) .دت .(*الجامع الصحيح، باب السحر من كتاب الطب، اعتنى به : صهيب الكرمي،* .الرياض :بيت الافكار الدولية.

10. الحجازي ,م .(2005) .*التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور،* .الدار البيضاء :المركز الثقافي العربي، ط .9

11. الزهراني ,ع .ب1414) .هـ .(*الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين 14-13 هـ وأثارهما في حياة الأمة* .السعودية :رسالة ماجتستير، جامعة أم القرى بمكة.

12. الطرطوشي ,أ .ب .(1990) .*الباعث على انكار البدع، تح :عبد المجيد تركي،* .بيروت :دار الغرب الإسلامي.

13. الطهطاوي ,ع .أ .(2000) .*بدع المقابر والجنائز والمآتم* .لبنان :دار الكتب العلمية، ط .1

14. الطهطاوي ,ع .أ .(2001) .*بدع المقابر والجنائز والمآتم* .لبنان :دار الكتب العلمية، ط.1

15. القيرواني ,ا .ا .(1983) .*الجامع في السنن والأدب والمغازي والتاريخ، تح : محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ* .بيروت :المكتبة العتيقة، ط .2

16. المغراوي ,ع .ا) .دت .(*عقيدة الإمام مالك* .القاهرة :مكتبة التراث الإسلامي، دط.

17. المغيلي, ا .أ .(2009) .*الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح :حساني مختار* . الجزائر، دط :دار الكتاب العربي، ج.1

18. المنصوري, ا .(2004) .مقدمات .*المجلة المغاربية للكتاب*.(30-29)

19. الونشريسي) .دت .(*المعيار المعرب والجامع عن فتاوي علماء افريقيا والأندلس والمغرب، تح :حجي محمد وآخرون* .دار الغريب الإسلامي، ج2، دط : بيروت.

20. باحو, م .(2007) .*علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والبقورية والمواسم، سلسلة بحوث في مذهب المالكية* .منشورات السبيل، ط .2

21. باحو, م .(2007) .*علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، سلسلة بحوث في مذهب المالكية* .منشورات السبيل، ط .2

22. بوتشيش, ا .(1997) .*المغرب والأندلس في عصر المرابطين)مجتمع-ذهنيات-أولياء* .(بيروت :دار الطليعة للنشر والتوزيع، ط .1

23. بوتشيش, ا) .دت .(الفكر السحري والعرافة بالمغرب والأندلس خلال العصر المرابطي .*ملتقى الدراسات المغربية والأندلسية* .المغرب :جامعة عبد الملك السعدي بتيطوان.

24. بونابي, ا .(2010) .*دراسة في الحركة الصوفية من القرن 8هـ-14م إلى القرن 9هـ-15م* .الجزائر :رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر.

25. بياض, ع .ا .(2007) .*الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب الأقصى ق 8-6)هـ* .(بيروت :دار الطليعة، ط .1

26. خليلي, ب .(2016) .*الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين 13)م15م* .(معسكر :أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة مصطفى اسطمبولي.

27. زروق, أ .ب .(s.d.) .*تحفة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق القصد وذكر حوادث الوقت، مخطوط مكتبة جامعة الرياض، رقم 1096، ورقة 08.*

28. سعيد, س .م) .دت .(*العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية 300)هـ-399-هـ* .(بيروت :عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط.1

29. شقمطي, ه .(2013) .*الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة* .قسطنية الجزائر :رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة قسنطينة.

30. عبد العزيز الغريب. (2005). قراءة في التدابير المتخذة. *مجلة المستقبل العربي*(311).

31. غنيم, م & .,شريف, ف .م .(2001) .*السحر والجن في المجمعات الريفية* . الاسكندرية :دار المعارف، ج.1

32. لوبرتون, د .(1997) .*أنثربولوجيا الجسد والحداثة، تر :محمد عرب صاصيلا* .بيروت :المؤسسة الجامعية، ط 2، .

33. مؤلف مجهول .(1979) .*الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح : سهيل زكار وعبد القادر زمامة* .الدار البيضاء :دار الرشاد الحديثة، ط .1

34. هادي, ر .إ .(1992) .*الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م، تح :حمادي ساحلي، ج .2*بيروت :دار الغرب الإسلامي، ط .1

35. يوسف, ا .ا) .الرباط، دط .(*بيوتات فاس الكبرة* :1972 .دار المنصور للطباعة والوراقة.